المقتبس

الضوء اللامع

من كتب التراجم المهمة التي تجمع بين الفائدة واللذة هذا التاريخ لمؤلفه محمد بن عبد الرحمن الملقب بشمس الدين السخاوي ترجم فيه لأهل القرن التاسع لكثير من رجال عصره والمتقدمين عليه وأطلق فيه العنان لقلمه حتى لكأنه لا يعرف غير الهجاء مذهباً وكشف عورات أهل جيله وأبناء عشره.

قال في كشف الظنون: الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي المتوفى سنة ٩٠٢ اثنتين وتسعمائة وهو في الظروف ولما صنف السيوطي في رده مقامة سماها الكاوي في تاريخ السخاوي وشرع في ذيل عليها تلميذه الشيخ زين الدين عمر بن أحمد الشماع الحلبي المتوفى سنة ٩٣٦ ست وثلاثين وتسعمائة وسماه القبس الحاوي لغرر ضوء السخاوي والشهاب أحمد بن العز محمد الشهير بابن عبد السلام المتوفى سنة ٩٣١ احدى وثلاثين وتسعمائة وسماه البدر الطالع من الضوء اللامع لأهل القرن التاسع واختصره الشيخ أحمد القسطلاني وسماه النور الساطع في مختصر الضوء اللامع.

وفي المكتبة الظاهرية بدمشق نسخة صحيحة من هذا الكتاب وربما كانت أصح نسخة في سورية بل في سورية ومصر وهي في نحو ثلاثة آلاف صفحة كبيرة بخط وسط وضعت في خمس مجلدات ضخام. والمؤلف كان من حفاظ الحديث وغيره وله مصنفات أخر وترجم نفسه فيه كما Autobiographie وقد جرت عادة كثير من الأعلام أن يترجموا أنفسهم من غير تكبر فيقال إنه أخذ عمن دب ودرج وذلك لأنه رحل من القاهرة على عادة العلماء لأن الرحلة ولا سيما للمحدثين

والمؤرخين من ملازميهم وحج ثم زار الينبوع وعقبة ايلة ورابغ وخليص ثم ارتحل الى حلب مارًا ببلبيس وقطيا وغزة والغدل والرملة وبيت المقدس والخليل ونابلس ودمشق وصالحيتها والزبداني وبعلبك وحمص وحماة وسرمين وحلب ومر ايضًا بطرابلس وبرزة وكفر بطنا والمزة وداريا وصالحية مصر

وله تصانيف كثيرة في الحديث ومنها تراجم من اخذ عنهم في ثلاثة مجلدات سماه بغية الراوي عن اخذ عنه السخاوي وفهرست مروياته في ازيد من ثلاث مجلدات والتبر المسبوك في الذيل على تاريخ المقريزي في نحو اربعة اسفار والضوء اللامع الذي نحن بصدد الكلام عليه ويكون ست مجلدات بحسب تقديره . والذيل على قضاة مصر نسخة في مجلدة والذيل على طبقات القراء لابن الجزري في مجلد والذيل على دول الاسلام للذهبي والوفيات في القرن التاسع وترجمة نفسه والتاريخ المحيط وهو في نحو ثلاثة رزمة على حروف المعجم قال انه لا يعلم من سبقه اليه . وطبقات المالكية اربعة اسفار الى غير ذلك من الشروح والتلاخيص ولد سنة ٨٣١ وقد استغرقت ترجمته نفسه في كتابه هذا ١١ ورقة ونصف ورقة وغيره فيه اكبر منها

وفي هذا الكتاب من المشاهير الناشري وابراهيم بن ظهيرة والبقاعي والبرهان الطرابلسي واحمد الكوراني وابن الهمام وابن الشحنة والمقريزي والحافظ ابن حجر وابن عربشاه وتيمورلنك والقاضي زكريا والحافظ العراقي وابن خلدون والجلال البلقيني والجلال السيوطي . وفيه من غير هذه الطبقة ايضًا طرف صالح جدًا منهم من نسب الى بلده ومسقط رأسه ومنهم من اشتهر بالقاب أخرى فتقع فيه على تراجم البعلبكي والعجلوني والطنبدي (نسبة لبلدة من اقليم المنوفية بمصر) والادفوي والزنكلوني والمنوفي والاسنوي والقوصي والدمياطي والبوصيري والسمنودي والاسيوطي والسنباطي والاشموني والملوي والمنفلوطي والفارسكوري والبنهاوي والبيجوري والنشاوي والرشيدي والسكندري والاذرعي والمكاري والبقاعي والسنفطي (من سنفط الحنا في شرقية مصر او سنفط قليشا من البحيرة) والديروطي والقاقوسي واخل والدمنهوري والاخميمي والابشيهي والقليوبي والطاهري والناوي والحلاوي والكركي والشوبكي . والصعيدي والبلتاني والبلبيسي والصرري والصيداوي والديروي والاقناوي والبلقيني (نسبة لبلقينة في الغربية) والاسواني والجعبري (نسبة لقلعة جعبر من بلاد حلب) والحمصي

والحموي وغير ذلك من الأعلام الذين نشأوا من قرى مصر والشام ومدنها في ذلك القرن .

بل وتجد فيه ما هو أغرب وأعجب من تراجم أمراء الجراكسة والمقدمين في حكومة تلك الأيام أمثال قايتباي أحد ملوك مصر ترجمه في ست ورقات وقشتمر وقطباي وقطلبك وقطلوبغا وقطيج وقرقماس وقراجا وقراسنقر وقراخوجه وقرا يوسف وقراجا والقايتباي و[illegible] [illegible] وقانصوه وقايتباي [illegible] وكرتباي [illegible] سنقر ولاجين ومنكلي بغا والظاهر وأمثالهم من الأمراء [illegible] ذكرهم في هذا السفر السخاوي

وترجم كثيراً من العامة وأرباب الأحوال والنساء ، وأورد بعض الأشعار عن [illegible] الجيد مثل شعر فاطمة ابنة القاضي كمال الدين محمد ابن البارزي [illegible] وقد كتبت إلى المؤلف [illegible] هذه الأبيات من نظمها

قفا واسمعا مني حديث المتيم الأوصاف [illegible] عن [illegible]
الناس [illegible] وأبصرت الأشياء من غير [illegible]
وقد [illegible] عن كل أسمر [illegible] [illegible] قلوب [illegible]

ومما قاله السخاوي في مقدمة كتابه وفيها الغرض الذي يرمي إليه :

الحمد لله جامع [illegible] ورافع من شاء إلى [illegible] إلى الأكثر من الطبقات من ذوي [illegible] من بعد [illegible] صدر [illegible] من الزلات وقابل توبة من العاصي ويرجع عما اقترف من السيئات سيما الصادرات في الصبا [illegible] في [illegible] فضلاً عمن [illegible] في الطبقات [illegible] كتاب من أصحابه بعض [illegible] جمعت فيه من علمته من هذا القرن التاسع أوله سنة إحدى وثمانمائة ختم بالحسنى وسائر العلماء والقضاة والصالحين والرواة والأدباء والشعراء والخلفاء والملوك والأمراء والمباشرين والوزراء مصرياً كان أو شامياً حجازياً أو يمانياً رومياً أو هندياً مشرقياً أو مغربياً بل وذكرت فيه بعض المذكورين بفضل ونحوه من أهل الذمة اتكالاً في أكثرهم إلا الذي أضفتهم إليه في [illegible] لا [illegible] [illegible] وارتفع [illegible] في جمهورهم إلا [illegible] مستوفياً من كل منهم في [illegible] شيخنا [illegible] والمقريزي [illegible] التي [illegible] ابن حجر [illegible] الطبقات والوفيات [illegible] كشيوخ ابن فهد التي [illegible] تخريجه وغيرها من [illegible] من معاجم [illegible] القرن [illegible] ابن حجر ونحوه من الأعيان وسائر

من ضبطته ممن اخذ عن شيخنا او عني او اخذت عنه ولو لم يكن كبيراً عينا وربما اثبت من لا يذكر لبعض الاغراض التي لا يحسن معها الاعراض واهملت في اثباته كثيراً من الموجودين رجاء انتفاع من تأخر بما ينقل عنهم من المستفيدين مع غلبة الظن الجلي عن التوجه ببقاء من شاء الله منهم الى القرن الذي يليه مرتباً له ترتيب الكشف على حروف المعجم الترتيب المعهود في الاسماء والآباء والانساب والجدود مبتدئاً من الرجال بالاسماء ثم بالكنى ثم بالانساب والالقاب وكذا المبهمات بعد الابناء مراعياً في الترتيب لذلك كل حروف الكلمة المقصودة بحيث ابدأ في الالف مثلاً بالهمزة الممدودة ثم بالهمزة التي بعدها موحدة والف ثم بالتي بعدها على ما الف مردوفاً ذلك بالنساء كذلك وكل ما اثبته فيه شيخنا فرادي به ابن حجر استاذنا وكنت اردت ايراد شيء مما لعله يكون عندي من حديث من شاء الله من المترجمين فخشيت التطويل منها ان يحصل ايضاحه بالتبيين ولذا اقتصرت على الرضي والزكي والسراج والعضد والمحيوي ممن بالنعت رضي الدين او زكي الدين او سراج الدين او عضد الدين او محيي الدين ممن المصنف عليه محتوي واعرضت لذلك عن الافصاح بالمعطوف عليه العلم به فاقتصر على قولي مات سنة ثلاث مثلاً دون وثماني مائة وتوفي . . . . . . ثم ليعلم ان الاغراض في الناس مختلفة والاعراض بين الناس في المحظور مؤتلفة ولكنني لم آل في التحري جهداً ولا عدلت عن الاعتدال فيما ارجو قصداً ولذا لم يزل الاكابر يتلقون ما ابديه بالتسليم ويتوقون الاعتراض فضلاً عن الاعراض عما القيه والتأثيم حتى كان العز الحنبلي والبرهان بن ظهيرة المكي يقولان لك منظور اليك فيما تقول مسطور كلامك المحض المقبول وقال غيرهما واحد ممن يعتد بكلامه وتمتد اليه الاعناق في مغربه ومقامه من زكيته فهو المعدل ومن جرحته فالضعيف المائل الى غيرها من الالفاظ الصادرة من الائمة الانباط بل كان بعض الفضلاء المتميزين يصرح بتمني الموت في حياتي لاترجمه بما الله محقق من كمالين لم قصد بذلك من يعلم اني لا اقيم له وزنا فرق بل يحتقر (كذا بالاصل) لوقته حسداً ومعه بالتشبه بالثبيه على نفسه فيتحقق منه ما كان حدساً او ظناً والله اسأل ان يجنبنا الاعتساف المجانب للانصاف وان يرزقنا كلمة الحق في السخط والرضى ويبصرنا بما لا يرتضى ويثبتنا امر التقى وسميته الضوء اللامع لاهل القرن التاسع اه »

هذا هو اقل ما يقال في الضوء اللامع والامل معقود بان يتاح للطبع عما قريب على يد

احدى جمادات المشترى في قبائر اه وقد كتبتها بأن ترجمه من الفاضلين احدهما دمشقي والآخر مصري فانه نكتفي بنشر الاصل وذلك لما فيه من الادب المؤلف وامثاله قال في ترجمة العالم المؤرخ الكاتب الشهير ابن عربشاه :

٤ احمد بن محمد بن عبدالله بن ابراهيم ابن ابي الفضل محمد ابن عربشاه ابن ابي بكر الاستاذ الشهاب ابو محمد ابن الشمس الدمشقي الاصل الرومي الحنفي والد التاج عبد الوهاب ويعرف بالعجمي وبابن عربشاه وهو الاكثر وليس هو لقب للاود وصحح ابني محمد عربشاه القمشاوي الاصل الدمشقيين الحنفيين ايضا . ولد في ليلة الجمعة منتصف ذي القعدة سنة احدى وتسعين وسبعمائة بدمشق ونشأ بها فقرأ القرآن على الزين عمر بن اللبان المقري ثم تحول في سنة ثلاث وثمانمائة في زمن الفتنة مع اخوته وامه واخي امه عبد الرحمن بن ابراهيم بن جولان الى سمرقند ثم بمفرده الى بلاد الخطا واقام ببلاد ماوراء النهر مدة للاشتغال والاخذ عمن هناك من الاستاذين فكان منهم السيد محمد الجرجاني وابن الجزري وهما بسمرقند الاول بمدرسة ايدكو والثاني بباغ جدا وشيخ الاول وعصام الدين ابن العلامة عبد الملك وهما من ذرية صاحب الهداية واحمد الترمذي الواعظ واحمد القصير وحسام الدين الواعظ امام مسجد السيد الامام محمد البخاري الزاهد ولقي في سمرقند في سنة تسع وثمانمائة الشيخ عريان الادهمي الذي استنفس هنالك انه ابن ثلاثمائة سنة فلقه نحو ربع ثم انتقل الى خوارزم واستفاد الفاضل الخوارزمي واخذ الوصولي والتسهيل واجتمع في بلاد خوارزم بالمولى الارداني والقاضي جلال الدين الشيرازي واخذ عنه وقرأ النحو على حاجي لعبد السيد ثم توجه الى خوارزم فاخذ عن نور الله واحمد بن شمس الائمة الواعظ في الواعظ وكان يتقن اللسان العجمي الكلام الفارسي والتركي والعربي ثم الى بلاد الدشت سراي وحاجي ترخان وبها الفقيه الزاهد مولانا حافظ الدين محمد بن ناصر الدين محمد البزازي الكردري فلازمه نحو اربع سنين واخذ عنه الفقه واصوله وما قرأ عليه المنظومة ثم الى القرم واجتمع باحمد بدمشق وشرف الدين شارح المنار ومحمود البخاري ومحمود الطبيب الا ... وعبد القيد الشاعر الاديب

ثم قدم من الروم الى مملكة ابن عثمان فاقام بها نحو عشر سنين فترجم فيها للملك غياث الدين ابي الفتح محمد بن ابي يزيد بن مراد بن عثمان كتاب جامع الحكايات ولامع الروايات من الفارسي الى التركي في نحو ١٠٠٠ الحكايات والتفسير الى الليث الحمزي الذي القادري بالتركي نظماً ونشر عنه دولة الاتابك وكتب عنه الى ملوك الاطراف

عربياً ومغلياً وتركياً فبالعجمي لقرا يوسف ونحوه وبالتركي لأمر الدشت وسلطانها وبالمغولي لشاروخ وغيره وبالعربي للمؤيد شيخ كل ذلك مع حرصه على الاستفادة بحيث قرأ المفتاح على البرهان حيدر الخوافي وأخذ عنه العربية أيضاً

فلما مات ابن عثمان رجع الى وطنه القديم فدخل حلب فأقام بها نحو ثلث سنة ثم الشام وكان دخوله لها في جمادى الآخرة سنة خمس وعشرين فجلس بحانوت مسجد القصب مع شهوده يسيراً لكون معظم أوقاته الاعتزال عن الناس وقرأ بها على القاضي شهاب الدين بن الحبال الحنبلي صحيح مسلم في سنة ثلاثين فلما قدم العلاء البخاري سنة اثنين وثلاثين مع الركب الشامي من الحجاز انقطع اليه ولازمه في الفقه والاصلين والمعاني والبيان والتصوف وغيرها وكان مما قرأ عليه الكافي في الفقه والبزدوي في أصوله وتقدم في غالب العلوم

وأنشأ النظم الفائق والنثر الرائق وصنف نظماً ونثراً مرآة الادب في علم المعاني والبيان والبديع وسلك فيه أسلوباً بديعاً نظم فيه التلخيص وعمل قصائد غزلية كل باب منه قصيدة مفردة على قافية أشار اليه شيخنا بقوله ووقفت على منظومة في المعاني والبيان وأجاد نظمها وجعل كل باب قصيدة مستقلة غزلاً يتخلص منه مقصد ذلك الباب انتهى. ومقدمة في النحو. وعقود النصيحة. والرسالة المسماة بمقعد الفريد في التوحيد. ونثراً تاريخ تيمورلنك سماه عجائب المقدور في نوائب تيمور. وفاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء. وخطاب الاهاب الناقب وجواب الشهاب الثاقب. والترجمان المترجم بمنتهى الارب في لغة الترك والعجم والعرب

وأشير اليه بالتقدم حتى كان ممن يجله ويعترف له بالفضيلة شيخنا وأثنى على نظمه التلخيص كما قدمته بل كتب عنه من نظمه يمدحه في المتباينات فقال أنشدني بمنزله ببرزة بالقرب من قرية القابون التحتاني في سابع رمضان سنة ست وثلاثين لنفسه

السيل يقلع ما يلقاه من شجر بين الجبال ومنه الارض تنفطر
حتى يوافي عباب البحر ينظره قد اضمحل فلا يبقى له أثر

مع حرص صاحب الترجمة حين سكونه بالقاهرة على ملازمته والاستفادة منه بل امتدحه بقصيدة بديعة أتى فيها بالالغاز وتعامي وأحاجي وجناسات وألعب فيها بضروب الادب أودعتها الجواهر والدرر سمعتها منه ومن لطيف أبياتها بيت جمع فيه حروف الهجاء وهو

حض بحر الحمد به على العلا   واحرم بصدقك بالعطا اذ سند

وبيت عاطل وهو

العالم العامل الامام لدى العلا   العادل الحكم الهمام الاوحد

وبيت شطره الاول مما يستحيل بالانعكاس وشطره الثاني حاصل مع كونه مما لا يستحيل ايضاً فالاول مركب من أمن والثاني من احمد وهو

[illegible] من [illegible] أمن   دم حامداً ما دام احمد

وكثر اجتماعهما وطرح شيخنا عليه من الاسئلة التي فيها المفاكهة والمداعبة مما عرف منه الملاءة والقدرة على التخلص منه ما اودعته منه اشياء في الجواهر عند الكلام على قدرة شيخنا في التصحيح وغيره رحمهما الله.

وكان احد الافراد في اجادة النظم باللغات الثلاث العربية والعجمية والتركية مجيد الخط جيد الاتقان والضبط عذب الكلام بديع المحاضرة مع كثرة التودد ومزيد التواضع وعفة النفس ووفور العقل والرزانة وحسن الشكالة والابهة واسباب الخير [illegible] عليه ظاهرة وقد [illegible] القاهرة في [illegible] مدة [illegible] فكتبت عنه من نظمه اشياء وسمعت من نظمه العقد الفريد وعقود الصيغة وكتبهما لي بخطه وبالغ في الادب والتواضع ومات بالقاهرة المذكورة في يوم الاثنين منتصف رجب سنة اربع وخمسين ودفن بتربتها والناس مشغولون بالاستسقاء عند توقف النيل غريباً عن اهله ووطنه بعد ان [illegible] الظاهر جقمق [illegible] حميد الدين عليه واوصل [illegible] فقام فيه [illegible] واستمر [illegible] من القهر حتى مات بعد اثني عشر يوماً عوضه الله خيراً [illegible] كان من محاسن الزمان وممن ترجمه باختصار المقريزي في عقوده ومما كتبته عنه قوله

[illegible] من الفضل من حاله   وشربه ماء قراح وقوت
[illegible] ما يشتهي   وعشا [illegible] بيوت

ومنه معمى

وجهك الزاهي كبدر فوق غصن طلعا   وبأحداقك الزاكي كمشكاة ساطعاً لمعا
سبع بيوت الذي اثبته [illegible] ترفعا   عكسها صحفه في ثبة الحسن (١) اجمعا

ومنه

قصر ما نشت في الدنيا وادركت   [illegible] شئت من صيت وصوت

لحبل العيش موصول بقطع وخيط العمر معقود بموت

ومنه

وما الدهر الا سلم فبقدر ما يكون صعود المرء فيه هبوطه
وهيهات ما فيه نزول وانما شروط الذي يرقى اليه سقوطه
فمن صار اعلى كان اوفى تهشماً وفاء بما قامت عليه شروطه

وترجمه بعضهم فقال · العلامة احد افراد الدهر في الفضل والسجع وعلم المعاني والبيان والبديع والنحو والصرف والنظم والنثر كان ممن أُسر مع اللنك (أي الاعرج تيمورلنك) ونقل الى سمرقند ثم خرج منها في سنة احدى عشرة وجال في بلاد الشرق ورجع الى دمشق في سنة خمس وعشرين فاقام بها مدة يتكسب بالشهادة في بعض حوانيتها وقدم القاهرة في سنة اربعين وصنف عجائب المقدور في نوائب تيمور من ابتدائه الى انتهائه ابان فيه عن فضل كبير وملكة للسجع وغزارة اطلاع بحيث حصله المقريزي وترجم مؤلفه فقال : نثره سجعاً فصلا ورشحه بالاشعار جملا · الى ان قال : بانه بحر بلاغة وفصاحة انشدنا كثيراً من شعره وله معرفة بالعربية واللغة ولكن الغالب عليه الادب وله نظم كثير ، ه كتاب مرآة الادب يشتمل عَلَى المعاني والبيان والبديع وهو نظم بطريقة الغزل يكون نحو الفي بيت وكتاب في علم النحو نظمه بطريقة الغزل ايضاً نحو مائتي بيت وقصيدة غزلية في الصرف بديعة مدح بها بعض اعيان الدولة وقصيدة في نحو مائتي بيت وشرحها في مجلد وخطاب الاهاب الناقب وجواب الشهاب الثاقب بينه وبين البرهان الباعوني وحميد الدين القاضي ابان فيه عن حفظ كثير لغة وكثرة اطلاع وغزارة فضل وسبب منه ان الباعوني كتب له ستة ابيات التزم فيها بانطـا (؟) المسألة اولها

أحميد لم تكن والله فظاً ولكن لا ارى لي منك حظا

واستوفى كثيراً من اللغة وكان قد وقع بينه وبين حميد الدين تخطيل للشهاب سنة أُخرى مثل نظره في كتب اللغة ونظمها في ستة ابيات بعجب من كثرة اطلاعه وسعة دائرته ثم كتب اليه بابيات التزم فيها الراء قبل الالف والراء بعدها ·

من مجيري من ظلوم منه أُبعدت مزارا

واستوفى باقي الابيات قال الشهاب ثم احد له قافية فكتب له على لسان حميد الدين قصيدة بغدادية اولها

أي حد أريد [illegible] على موالاة الشاعي

لم يقدر على الجواب بديها وكتب اليه بقوله

[illegible] [illegible] حد [illegible] [illegible]

واستوقفه [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] عليه [illegible] [illegible]

فتعجب من سعة [illegible] وكثرة [illegible] ثم قال له [illegible] ما عرفتك الا الآن قال فقلت له [illegible] وانى الآن [illegible] وما الجواب بديها على هذا السؤال حتى [illegible] من ذلك [illegible] في ذلك ما كتب به [illegible]

ابن عربشاه كيف ترى [illegible] لا [illegible] ما يحبك منى

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] الى الحرب لا [illegible] من ظني

الى آخرها ومن جملة المراسلات [illegible] الرسائل [illegible] ابيات التزم فيها [illegible] [illegible] واستوفى [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

واستوفى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وآخر الامر توجه حميد الدين الى مصر [illegible] الى السلطان وقال له [illegible] فلم يرد عليه الا بقوله يكتب له من [illegible] [illegible] [illegible] الى السلطان الشمس [illegible] البلقوني رحل [illegible] انه عرف [illegible] [illegible] بعد ان [illegible] الامر [illegible] [illegible] وشعره كثير جداً وتصنيفه الذي [illegible] فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء في مجلد [illegible] فيه عجائب وغرائب على لسان الحيوانات من الطير وما ألف .

ولما دخل مصر بعد الفتنة في [illegible] وجد [illegible] من بيت الكمال ابن البارزي [illegible] مات [illegible] [illegible] بقصيدة [illegible] على عدة [illegible] في [illegible] من كل قافية الى الاخرى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من قافية [illegible] الى قافية [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الكمال اه .

وقال في ترجمة العلامة الفريد أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد بن

ابراهيم بن محمد بن تميم بن عبد الصمد بن ابي الحسن ابن عبد الصمد ابن تميم التقي ابو العباس ابن العلاء ابن المحيوي الحسيني العبيدي البعلي الاصلي القاهري سبط ابن الصائغ ويعرف بابن المقريزي وهي نسبة لحارة في بعلبك تعرف بحارة المقارزة وكان اصله من بعلبك وجده من كبار المحدثين تحول ولده الى القاهرة وولي بها بعض الوظائف المتعلقة بالقضاة وكتب التوقيع في ديوان الانشاء وانجب صاحب الترجمة وكان مولده حسبما كان يخبر به ويكتبه بخطه بعد الستين وقال شيخنا انه رأى بخطه ما يدل على تعينه في سنة ست وستين وذلك بالقاهرة ونشأ بها نشأة حسنة فحفظ القرآن وسمع من جده لامه الشمس ابن الصائغ الحنفي والبرهان الآمدي والعز ابن الكويك والنجم ابن رزين والشمس ابن الخشاب والتنوخي وابن ابي الشيخة وابن ابي المجد والبلقيني والعراقي والهيثمي والفرسيسي وغيرهم بل كان يزعم انه سمع المسلسل على العماد ابن كثير ولا يكاد يصح . وحج فسمع بمكة من النشاوري والاميوطي والشمس ابن سكر وابي الفضل النويري القاضي وسعد الدين الاسفرايني وابي العباس ابن عبد المعطي وجماعة واجاز له الاسنوي والاذرعي وابو البقا السبكي وعلي ابن يوسف الزربدي (؟) وآخرون ومن الشام الحافظ ابو بكر ابن المحب وابو العباس ابن العز وناصر الدين محمد ابن محمد بن داود وطائفة واشتغل كثيراً وطاف على الشيوخ وفي المكاتب وجالس الائمة فاخذ عنهم وتفقه حنفياً على مذهب جده لامه وحفظ مختصراً فيه ثم لما ترعرع وذلك بعد موت والده في سنة ست وثمانين وهو حينئذ قد جاز العشرين تحول شافعياً واستقر عليه امره لكنه كان مائلاً الى الظاهر ولذا قال شيخنا انه احب الحديث فواظب على ذلك وكان يتهم بمذهب ابن حزم ولكنه كان لا يبوح به انتهى هذا مع كون والده وجده حنفيين ونظر في عدة فنون وشارك في الفضائل وكتب بخطه الكثير واتقن وقال الشعر والنثر وحصل وافاد وناب في الحكم وكتب التوقيع وولي الحسبة بالقاهرة غير مرة اولها في سنة احدى وثمانمائة والخطابة بجامع عمرو وبمدرسة حسن والامامة بجامع الحاكم ونظره وقرأ الحديث بالمؤيدية عوضاً عن المحب بن نصر الله حين استقراره في تدريس الحنابلة بها وغير ذلك وحمدت سيرته في مباشراته وكان قد اتصل بالظاهر برقوق ودخل الى دمشق مع ولده الناصر في سنة عشر وعاد معه وعرض عليه قضاءها فأبى وصحب يشبك الدوادار وقتاً ونال منه دنيا بل يقال انه اودع عنده نقداً وحج غير مرة وجاور

وكذا دخل دمشق مراراً وتولى بها نظر وقف القلانسي والبيمارستان النوري مع كون شرط نظره لقاضيها الشافعي وتدريس الأشرفية والإقبالية وغيرهما ثم أعرض عن ذلك وأقام ببلده عاكفاً على الاشتغال بالتاريخ حتى اشتهر به ذكره وبعد فيه صيته وصارت له فيه جملة تصانيف كالخطط للقاهرة وهو مفيد لكنه على مسودة الأوحدي كما سبق في ترجمته أخذها وزادها [illegible] ودرر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة ذكر فيه من عاصره، وإمتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء والأموال والحفدة والمتاع، وكان يحب أن يكتب عنه بمكة ويحدث به فتيسر له ذلك . و[illegible] له . وعقد جواهر الأسفاط في ملوك مصر والفسطاط . والبيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب . والإلمام في أخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام . والطرفة الغريبة في أخبار حضرموت العجيبة . ومعرفة ما يجب لآل البيت النبوي من الحق على من عداهم . واتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا . والسلوك لمعرفة دول الملوك يشتمل على الحوادث إلى وقته . والمقفى الكبير [illegible] في ستة عشر مجلداً وكان يقول إنه لو كمل على ما يرومه لجاوز [illegible] . والأخبار عن الإعذار . والإشارة والكلام ببناء الكعبة البيت الحرام . والذهب المسبوك بذكر من حج من الخلفاء والملوك . والنزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم . وشذور العقود في ذكر النقود . وضوء الساري في معرفة خبر تميم الداري . والأوزان والأكيال الشرعية . وإزالة التعب والعنا في معرفة الحال في الغنا . وحصول الإنعام والمير في سؤال خاتمة الخير . والمقاصد السنية في معرفة الأجسام المعدنية . وتجريد التوحيد . وجمع الفرائد ومنبع الفوائد [illegible] والنحل [illegible] والهزل [illegible] في كتاب . و[illegible] يشتمل على جميع ما [illegible] فيه [illegible] من أصول [illegible] مع بيان أدلتها وتوجيه القول فيها والإشارة [illegible] وغير ذلك . [illegible] وقد قرأت بخطه أن تصانيفه زادت على مائتي مجلدة كبار وأن شيوخه بلغت ستمائة نفس . وكان حسن المذاكرة بالتاريخ لكنه قليل المعرفة بالمتقدمين ولذلك يكثر له فيه التصحيف والتحريف والسقط وربما صحف في المتون .

ومما رأيته بخطه في ذلك [illegible] وهو [illegible] الكرماني [illegible] ماجعل [illegible] الحافظ ابن [illegible]

المسلسل بالاولية حين حدث به بالخاء المعجمة بدل المهملة واما في المتأخرين فقد تفرد في تراجمهم بما لا يوافق عليه كقوله في ابن الملقن انه كان يسيء الصلاة جداً وكان مع ذلك بكثير الاعتماد على من لا يوثق به من غير عزو اليه حتى نقل ذلك في نسبه فان مستنده في كونه من الحسينيين كونه دخل مع والده جامع الحاكم فقال له يا ولدي هذا جامع جدك لاسيما وما قاله ابن [illegible] في نسبة عبد القادر جده القصار بما يخدش في هذا وان توقف صاحب الترجمة فيه لكنه مع ذلك لم يكن يتجاوز في تصانيفه في سياق نسبه عبد الصمد ابن تميم وان اظهر زيادة على ذلك لمن يثق به ثم رأيت ما يدل على انه اعتمد في هذه النسبة العرياني المشهور بالكذب فالله اعلم. ومن يصف من يكون كذلك بالحافظ مريد الاصلاح فقد جازف وما احسن قول بعضهم ثم في بعضه توقف (كذا)

وكان كثير الاستحضار للوقائع القديمة في الجاهلية وغيرها واما الوقائع الاسلامية ومعرفة الرجال واسمائهم والجرح والتعديل والرتب والسن وغير ذلك من اسرار التاريخ ومحاسنه فغير ماهر فيه وكانت له معرفة قليلة بالفقه والحديث والنحو والاطلاع على اقوال السلف والمام بمذهب اهل الكتاب حتى كان يتردد اليه افاضلهم للاستفادة منه مع حسن اخلاق وكرم العهد وكثرة التواضع وعلو الهمة لمن يقصده والرغبة في المذاكرة والمداومة على التهجد والاوراد وحسن الصلاة ومزيد الطمأنينة فيها والملازمة لبيته حتى ان بعض الرؤساء فيما بلغني عتب على الانقطاع عنه فانشد قول غيره :

قالت الارنب قولاً كلاما   فيه ذكرى لتفهم الالباب
انا اجرى من الكلاب ولكن   خير يومي ان لا ترانى الكلاب

ولو انشده قول ابن المبارك

قد ارحنا واسترحنا   من غدو ورواح   واتصال بلئيم   او كريم ذي سماح
بعفاف وكفاف   وقنوع وصلاح   وجعلنا اليأس مفتا   حا لابواب النجاح

لكان احسن و(له) خبرة بالزايرجة والاصطرلاب والرمل والميقات بحيث انه اخذ لابن خلدون طالعاً والتمس منه تعيين وقت ولايته فقال انه عين له يوماً فكان كذلك وعد من النوادر

كل ذلك مع تبجيل الاكابر له اما مداراة له خوفاً من قلمه او لحسن مذاكرته وقد حدث ببعض تصانيفه ومروياته بمكة والقاهرة سمع منه الفضلاء واخبر انه سمع فضل الخيل للدمياطي على ابي طلحة الحراوي مرتين فاعتمدوا اخباره بذلك وقرئ عليه مرة بل

كتب بخطه قبيل موته بسنة أنه لا يعلم من شاركه في روايته ورأيت بخط صاحبنا النجم ابن فهد أنه حضره في الرابعة على الحراوي وما عرفت مستنده في ذلك .

وقد ترجمه شيخنا في معجمه بقوله له النظم الفائق والنثر الرائق والتصانيف الباهرة خصوصاً في تاريخ القاهرة فإنه أحيا معالمها وأوضح مجاهلها وجدد مآثرها وترجم أعيانها ولكنه لم يمهر في [illegible] بل قل وأولع بالتاريخ فجمع منه شيئاً كثيراً وصنف فيه كتباً وكان لكثرة ولعه به يحفظ كثيراً منه قال وكان حسن الصحبة حلو المحاضرة وقال العيني : كان مشتغلاً بكتابة التواريخ وضرب الرمل تولى الحسبة بالقاهرة في آخر أيام الظاهر يعني برقوق ثم عزل بمسطره ثم تولى مرة أخرى في أيام الدوادار الكبير سودون ابن أخت الظاهر يعني برقوق عوضاً عن مسطره بحكم ابن مسطره وعزل نفسه بسبب ظلم سودون المذكور . وقال ابن خطيب الناصرية في ترجمة جده وهو جد الإمام الفاضل المؤرخ تقي الدين وقال غيره : جمع كتاباً بالشاهد وسمعه تماماً ينقله من كتاب ومن عجب ما فيه أنه كان في رمضان سنة احدى وتسعين ماراً بين القصرين فسمع العوام يتحدثون أن الظاهر برقوق خرج من سجنه بالكرك واجتمع عليه الناس قال : فضبطت ذلك اليوم فكان كذلك ومن شعره في دمياط :

سقى عهد دمياط وحياه من عهد   فقد زادني ذكراه وجداً على وجد
ولا زالت الأنواء تسقي سحابها   دياراً حكت من حسنها جنة الخلد

وهي أكثر من عشرين بيتاً مات في عصر يوم الخميس سادس عشري رمضان سنة خمس وأربعين بالقاهرة بعد مرض طويل وذلك فيما قاله شيخنا تكملة ثمانين من عمره ودفن يوم الجمعة قبل الصلاة بحوش الصوفية البيبرسية رحمه الله وإيانا اهـ .

هذان نموذجان من الكتاب وكله فوائد جزيلة وهو مرآة صادقة لأحوال القرن التاسع للهجرة وفيه دب الانحطاط الشديد في جسم الأمة الإسلامية